htm







The Holy Virgin ST. Mary

The third Print
Sept 2000
Cairo

الطبعة الثالثة
سبتمبر ٢٠٠٠
القاهرة

الكتاب : السيدة العذراء .

المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس بالقاهرة -

الطبعة : ١٩٩٩

المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - العباسية .

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٦/٩١٧٣



صورة طقسية للعذراء ، عن يمين المسيح، ومتوجة كملكة ،
عملاً بقول المزمور: "قامت الملكة عن يمينك أيها الملك" .
وكذلك تحيط بها الملائكة باعتبارها "السماء الثانية"

أمنا القديسة العذراء

لا توجد إمرأة تنبأ عنها الأنبياء واهتم بها الكتاب، مثل مريم العذراء .. رموز عديدة عنها في العهد القديم، وكذلك سيرتها وتسبحتها والمعجزات : في العهد الجديد .

وما أكثر التمجيدات والتأملات ، التي وردت عن العذراء في كتب الآباء ... وما أمجد الألقاب ، التي تلقبها بها الكنيسة ، مستوحاة من روح الكتاب ...

إنها أمنا كلنا، وسيدتنا كلنا، وفخر جنسنا، الملكة القائمة عن يمين الملك، العذراء الدائمة البتولية، الطاهرة، المملوءة نعمة، القديسة مريم، الأم القادرة المعينة الرحيمة، أم النور، أم الرحمة والخلاص، الكرمة الحقانية .

هذه التي ترفعها الكنيسة فوق مرتبة رؤساء الملائكة فتقول عنها في تسابيحها وألحانها :

علوت يا مريم فوق الشاروبيم، وسموت يا مريم فوق السارافيم .

مريم التي تربت في الهيكل، وعاشت حياة الصلاة والتأمل منذ طفولتها، وكانت الإناء المقدس الذي اختاره الرب الحلول فيه .

أجيال طويلة انتظرت ميلاد هذه العذراء، لكي يتم بها ملء الزمان (غل ٤: ٤) ...

هذه التي أزالت عار حواء، وأنقذت سمعة المرأة بعد الخطية .

إنها والدة الإله ، دائمة البتولية .

إنها العذراء التي أتت إلى بلادنا أثناء طفولة المسيح، وأقامت في أرضنا سنوات، قدستها خلالها ، وباركتها ...

وهي العذراء التي ظهرت في الزيتون منذ ٣٠ عاماً، وجذبت إليها مشاعر الجماهير، بنورها، وظهورها، وافتقادها لنا ...

وهي العذراء التي تجري معجزات في أماكن عديدة ، نعيد لها فيها، وقصص معجزاتها هذه لا تدخل تحت حصر ...

إن العذراء ليست غريبة علينا، فقد اختلطت بمشاعر الأقباط في عمق ، خرج من العقيدة إلى الخبرة الخاصة والعاطفة . ما أعظمه شرفاً لبلادنا وكنيستنا أن تزورها السيدة العذراء في الماضي، وأن تتراءى على قبابها منذ سنين طويلة .

لم توجد إنسانة أحبها الناس في المسيحية مثل السيدة العذراء مريم .

في مصر ، غالبية الكنائس تحتفل بعيدها .

وفي الطقوس، ما أكثر المدائح والتراتيل، والتماجيد والإبصاليات والذكصولوجيات الخاصة بها، وبخاصة في شهر كيهك. ولها عند أخوتنا الكاثوليك شهر يسمى الشهر المريمي ...

وفي أديرة الرهبان في مصر يوجد على إسمها دير البراموس، ودير السريان، ودير المحرق، أي ربع الأديرة الحالية .

ويوجد دير للراهبات على إسمها في حارة زويلة بالقاهرة. وما أكثر الأديرة والمدارس التي على إسمها في كنائس الغرب .

أقدم كنائس باسمها

أقدم كنيسة بنيت على إسم العذراء في العصر الرسولي هي كنيسة فيلبي . وأقدم كنيسة بنيت بإسمها في مصر ، كانت في عهد البابا ثاونا، البطريرك ١٦ (سنة ٢٧٤م) .

ومن أشهر كنائسها، كنيسة الدير المحرق التي دشنت في عهد البابا ثاوفيلس (٢٣) في بداية القرن الخامس (٦ هاتور) .

وكذلك الكنائس التي بنيت في الأماكن التي زارتها في مصر .

وبهذه المناسبة توجد لنا كنيستان في أوروبا باسم "عذراء الزيتون" . إحداهما في فرنسا والثانية في فيينا .

عظمـــة العـــذراء

عظمة العذراء قررها مجمع أفسس المسكوني المقدس ، الذي انعقد سنة ٤٣١م بحضور مائتين من أساقفة العالم، ووضع مقدمة قانون الإيمان التي ورد فيها : "نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم، أتى وخلص نفوسنا" : فعلى أية الأسس وضع المجمع المسكوني هذه المقدمة ؟ هذا ما سنشرحه الآن :

العذراء : هي القديسة المطوبة ،التي يستمر تطويبها مدى الأجيال، كما ورد في تسبحتها ...

"هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني" (لو ١: ٤٦) .

والعذراء تلقبها الكنيسة بالملكة وفي ذلك أشار عنها المزمور (٤٥: ٩) . **"قامت الملكة عن يمين الملك"** ...

ولذلك فإن كثيراً من الفنانين ، حينما يرسمون صورة العذراء يضعون تاجاً على رأسها، وتبدو في الصورة عن يمين السيد المسيح .

ويبدو تبجيل العذراء في تحية الملاك جبرائيل لها "السلام لك أيتها الممتلئة نعمة، الرب معك، مباركة أنت في النساء" (لو ١: ٢٨)

أي ببركة خاصة، شهدت بها أيضاً القديسة أليصابات، التي صرخت بصوت عظيم وقالت لها: مباركة أنت في النساء، ومباركة هي ثمرة بطنك" (لو ١: ٤٢).

وأمام عظمة العذراء تصاغرت القديسة أليصابات في عيني نفسها، وقالت في شعور بعدم الاستحقاق. مع أن أليصابات كانت تعرف أن ابنها سيكون عظيماً أمام الرب، وأنه يأتي بروح إيليا وقوته (لو ١: ١٥، ١٧).

من أين لي هذا، أن تأتي أم ربي إليّ (لو ١: ٤٣).

ولعل من أوضح الأدلة على عظمة العذراء، ومكانتها لدى الرب، أنه بمجرد وصول سلامها إلى أليصابات، امتلأت أليصابات من الروح القدس، وأحس جنينها فارتكض بابتهاج في بطنها. وفي ذلك يقول الوحي الإلهي:

"فلما سمعت أليصابات سلام مريم، ارتكض الجنين في بطنها، وامتلأت أليصابات من الروح القدس" (لو ١: ٤١).

إنها حقاً عظمة مذهلة، أن مجرد سلامها يجعل أليصابات تمتلئ من الروح القدس! من من القديسين، تسبب سلامه في أن يمتلئ غيره من الروح القدس؟! ولكن هوذا أليصابات تشهد وتقول "هوذا حين صار سلامك في أذني، ارتكض الجنين بابتهاج في بطني".

امتلأت أليصابات من الروح القدس بسلام مريم، وأيضاً نالت موهبة النبوة والكشف :

فعرفت أن هذه هى أم ربها، وأنها "آمنت بما قيل لها من قبل الرب" كما عرفت أن ارتكاض الجنين، كان عن ابتهاج" . وهذا الابتهاج طبعاً بسبب المبارك الذى فى بطن العذراء "مباركة هى ثمرة بطنك" (لو ١: ٤١ - ٤٥) .

عظمة العذراء تتجلى فى اختيار الرب لها، من بين كل نساء العالم ...

الإنسانة الوحيدة التى تنتظر التدبير الإلهى الآف السنين، حتى وجدها، ورآها مستحقة لهذا الشرف العظيم الذى شرحه الملاك جبرائيل بقوله "الروح القدس يحل عليك، وقوة العلى تظللك. فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥) .

العذراء فى عظمتها ، تفوق جميع النساء :

لهذا قال عنها الوحى الإلهى "بنات كثيرات عملن فضلاً. أما أنت ففقت عليهن جميعاً" (أم ٣١: ٢٩) . ولعله من هذا النص الإلهى، أخذت مديحة الكنيسة "نساء كثيرات نلن كرامات . ولم تنل مثلك واحدة منهن " ....

هذه العذراء القديسة، كانت فى فكر الله وفى تدبيره، منذ البدء.

فهي الخلاص الذي وعد به الرب لأبوينا الأولين، قال لهما إن نسل المرأة يسحق رأس الحية (تك ٣: ١٥). هذه المرأة هي العذراء، ونسلها هو المسيح، الذي سحق رأس الحية، على الصليب ...

حياة أحاطت بها المعجزات

تبدأ المعجزات في حياة العذراء قبل ولادتها، وتستمر بعد وفاتها، ومنها :

١ - حبل بها بمعجزة، من والدين عاقرين، ببشرى من الملاك،

٢ - معجزة خطوبتها، بطريقة إلهية حددت الذي يأخذها ويرعاها

٣ - معجزة في حبلها بالمسيح وهي عذراء مع استمرار بتوليتها بعد الولادة.

٤ - معجزة في زيارتها لأليصابات، التي لما سمعت صوت سلامها، ارتكض الجنين بابتهاج في بطنها وامتلأت بالروح القدس،

٥ - معجزات لا تدخل تحت حصر أثناء زيارتها لأرض مصر: منها سقوط الأصنام (أش ١٩: ١).

٦ - أول معجزة أجراها الرب في قانا الجليل كانت بطلبها.

٧ - معجزة حل الحديد وإنقاذ متياس الرسول، كانت بواسطتها.

٨ - معجزة استلام المسيح لروحها، ساعة وفاتها.

٩ – معجزة ضرب الرب لليهود لما أرادوا الاعتداء على جثمانها بعد وفاتها .

١٠ – معجزة صعود جسدها إلى السماء .

١١ – المعجزات التي تمت على يديها في كل مكان، وضعت فيها كتب .

١٢ – ظهورها في أماكن متعددة وبخاصة ظهورها العجيب في كنيستنا بالزيتون ، وفي بابادبلو .

ومازالت المعجزات مستمرة في كل مكان، وستستمر شهادة لكرامة هذه القديسة .

صـــوم العـــذراء

تحتفل الكنيسة من أول مسرى (٧ أغسطس) بصوم السيدة العذراء، وهو صوم يهتم به الشعب اهتماماً كبيراً، ويمارسه بنسك شديد. والبعض يزيد عليه أياماً. وذلك لمحبة الناس الكبرى للعذراء

وصوم العذراء مجال للنهضات الروحية في غالبية الكنائس .

يعد له برنامج روحي، لعظات كل يوم، وقداسات يومية أيضاً في بعض الكنائس، حتى الكنائس التي لا تحمل إسم العذراء .

ويقام عيد كبير للسيدة العذراء في كنيستها الأثرية بمسطرد.

بل تقام أعياد لقديسين آخرين في هذه الأيام أيضا :

لعيد القديس مارجرجس في دير ميت دمسيس يكون في النصف الثاني من أغسطس، وكذلك عيد القديس أبا مقار الكبير . وعيد القديس مارجرجس في ديره بالرزيقات.

وفي نفس صوم العذراء نحتفل بأعياد قديسات مشهورات :

مثل القديسة بتيسة (٢مسرى : ٨ أغسطس) ، والقديسة يوليطة (٦ مسرى: ١٢ أغسطس) والقديسة مارينا (١٥مسرى: ٢١ أغسطس)

بل أثناء صوم العذراء أيضاً نحتفل بعيد التجلي المجيد يوم ١٣ مسرى (١٩ أغسطس) .

وفي نفس الشهر (٧ مسرى: ١٣ أغسطس) تذكار بشارة الملاك جبرائيل للقديس يواقيم بميلاد مريم البتول .

إن صوم العذراء ليس هو المناسبة الوحيدة التي تحتفل فيها الكنيسة بأعياد العذراء ، إنما يوجد بالأكثر شهر كيهك الذي يحفل بمدائح وتماجيد وابصاليات للعذراء مريم القديسة .

وصوم العذراء يهتم به الأقباط في مصر، وبخاصة السيدات، أهتماماً يفوق الوصف .

كثيرون يصومونه (بالماء والملح) أي بدون زيت... وكثيرون يضيفون عليه أسبوعاً ثالثاً كنوع من النذر . ويوجد أيضاً من ينذر

أن يصوم هذا الصوم انقطاعاً حتى ظهور النجوم فى السماء ...

فما السر وراء هذا الإهتمام ؟

أولاً : محبة الأقباط للعذراء التى زارت بلادهم وباركتها ، وتركت آثاراً لها فى مواضع متعددة بنيت فيها كنائس .

ثانياً : كثرة المعجزات التى حدثت فى مصر بشفاعة السيدة العذراء، مما جعل الكثيرين يستبشرون ببناء كنيسة على إسمها .

ولعل ظهور العذراء فى كنيستها بالزيتون وما صحب هذا الظهور من معجزات ، قد أزاد تعلق الأقباط بالعذراء، وبالصوم الذى يحمل إسمها .

أعيــادها

كل قديس له فى الكنيسة عيد واحد، هو يوم نياحته أو إستشهاده، وربما عيد آخر، هو العثور على رفاته، أو معجزة حدثت بإسمه، أو بناء كنيسة له .

لكن القديسة العذراء لها أعياد كثيرة جداً، منها :

١ - عيد البشارة بميلادها :

وهو يوم ٧ مسرى ، حيث بشر ملاك الرب أباها يواقيم بميلادها، ففرح بذلك هو وأمها حنة، ونذراها للرب .

٢ – عيد ميلاد العذراء :

وتعيد له الكنيسة فى أول بشنس .

٣ – عيد دخولها الهيكل :

وتعيد له الكنيسة يوم ٣ كيهك ، وهو اليوم الذى دخلت فيه لتتعبد في الهيكل فى الدار المخصصة للعذارى.

٤ – عيد مجيئها إلى مصر :

ومعها السيد المسيح ويوسف النجار. وتعيد له الكنيسة يوم ٢٤ بشنس

٥ – عيد نياحة العذراء :

وهو يوم ٢١ طوبة ، وتذكر فيه الكنيسة أيضاً المعجزات التى تمت فى ذلك اليوم. وكان حولها الآباء الرسل ما عدا القديس توما الذى كان وقتذاك يبشر فى الهند .

٦ – العيد الشهرى للعذراء :

وهو يوم ٢١ من كل شهر قبطى، تذكاراً لنياحتها فى ٢١ طوبة

٧ – عيد صعود جسدها إلى السماء :

وتعيد له الكنيسة فى يوم ١٦ مسرى، الذى يوافق ٢٢ من أغسطس، ويسبقه صوم العذراء (١٥ يوماً) .

٨ – عيد معجزتها (حالة الحديد) :

وهو يوم ٢١ بؤونة ، وتذكر فيه معجزتها فى حل أسر القديس

متياس الرسول ومن معه بحل الحديد الذى قيدوا به .

ونعيد أيضاً لبناء أول كنيسة على إسمها فى فيلبى .

وكل هذه الأعياد لها فى طقس الكنيسة ألحان خاصة وذكصولوجيات، تتضمن فى طياتها الكثير من النبوات والرموز الخاصة بها فى العهد القديم .

<u>٩ - عيد ظهورها فى الزيتون .</u>

على قباب كنيسة العذراء . وكان ذلك يوم ٢ ابريل سنة ١٩٦٨ واستمر عدة سنوات، ويوافق ٢٤ برمهات تقريباً .

وبالإضافة إلى كل هذا، نحتفل طول شهر كيهك (من ثلث شهر ديسمبر إلى ٧ يناير) بتسابيح كلها عن كرامة السيدة العذراء .

العذراء مريم فى عقيدة الكنيسة

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تكرم السيدة العذراء الإكرام اللائق بها، دون مبالغة، ودون إقلال من شأنها .

١- فهى فى اعتقاد الكنيسة "والدة الإله" Θεοτοκος (ثيؤطوكوس)، وليست والدة (يسوع) كما ادعى النساطرة، الذين حاربهم القديس كيرلس الأسكندرى، وحرمهم مجمع أفسس المسكونى المقدس.

٢ - والكنيسة تؤمن أن الروح القدس قد قدس مستودع

العذراء أثناء الحبل بالمسيح .

وذلك كما قال لها الملاك "الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك. لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله" .

وتقديس الروح القدس لمستودعها، يجعل المولود منها يحبل بـه بلا دنس الخطية الأصلية. أما العذراء نفسها، فقد حبلت بها أمها كسائر الناس، وهكذا قالت العذراء في تسبحتها "وتبتهج روحي بالله مخلصي" (لو ١: ٤٧) .

لذلك لا توافق الكنيسة على أن العذراء حبل بها بلا دنس الخطية الأصلية كما يؤمن أخوتنا الكاثوليك .

٣ – وتؤمن الكنيسة بشفاعة السيدة العذراء .

وتضع شفاعتها قبل الملائكة ورؤساء الملائكة، فهي والدة الإله، وهي الملكة القائمة عن يمين الملك.

٤ – والكتاب يلقب العذراء بأنها "الممتلئة نعمة"

وللأسف فإن الترجمة البيروتية – إقلالاً من شأن العذراء– ترجم هذا اللقب بعبارة "المنعم عليها" .. وكل البشر منعم عليهم، أما العذراء فهي الممتلئة نعمة.. على أن النعمة لا تعني العصمة.

٥ – والكنيسة تؤمن بدوام بتولية العذراء .

ولا يشذ عن هذه القاعدة سوى أخوتنا البروتستانت ، الذين ينادون بأن العذراء أنجبت بنين بعد المسيح .

٦ – وتؤمن الكنيسة بصعود جسد العذراء إلى السماء، وتعيد له في ١٦ مسرى .

ألقابها ورموزها

أ – ألقاب من حيث عظمتها وصلتها بالله :

١ – تلقبها بالملكة : القائمة عن يمين الملك .

ونذكر في ذلك قول المزمور "قامت الملكة عن يمينك أيها الملك" (مز ٤٥: ٩) . ولذلك دائماً ترسم في أيقونتها على يمين السيد المسيح. وتقول عنها في القداس الإلهي "سيدتنا وملكتنا كلنا..".

٢ – تقول عنها أيضاً "أمنا القديسة العذراء" .

وفي ذلك قول السيد المسيح وهو على الصليب لتلميذه القديس يوحنا الحبيب "هذه أمك" (يو ١٩: ٢٧) .

٣ – وتشبه العذراء أيضاً بسلم يعقوب :

تلك السلم التي كانت واصلة بين الأرض والسماء (تك ٢٨: ١٢). وهذا رمز للعذراء التي بولادتها للمسيح، أوصلت سكان الأرض إلى السماء .

٤ – وقد تلقبت العذراء أيضاً بالعروس :

لأنها العروس الحقيقية لرب المجد . وتحقق فيها قول الرب لها

في المزمور "اسمعي يا ابنتي وانظري، واميلي أذنك، وانسي شعبك وبيت أبيك. فإن الملك قد اشتهى حسنك، لأنه هو ربك وله تسجدين" (مز ٤٤) . ولذلك لقبت بحديقة سليمان، أي عذراء النشيد.

وقيل عنها في نفس هذا المزمور "كل مجد ابنة الملك من داخل، مشتملة بأطراف موشاة بالذهب مزينة بأنواع كثيرة" .

٥ – ونلقبها أيضاً بلقب الحمامة الحسنة :

متذكرين الحمامة الحسنة التي حملت لأبينا نوح غصناً من الزيتون، رمزاً للسلام، تحمل إليه بشرى الخلاص من مياه الطوفان.. (تك٨: ١١) . وبهذا اللقب يبخر الكاهن لأيقونتها وهو خارج من الهيكل. وهو يقول "السلام لك أيتها العذراء مريم الحمامة الحسنة". والعذراء تشبه بالحمامة في بساطتها وطهرها وعمل الروح القدس فيها، وتشبه الحمامة التي حملت بشرى الخلاص بعد الطوفان ، لأنها حملت بشرى الخلاص بالمسيح .

٦ – وتشبه العذراء أيضاً بسحابة .

لارتفاعها من جهة، ولأنه هكذا شبهتها النبوة في مجيئها إلى مصر. نورد عن ذلك في سفر إشعياء النبي :

"وحي من جهة مصر: هوذا الرب راكب على سحابة سريعة

وقائم إلى مصر . فترتجف أوثان مصر ، ويذوب قلب مصر داخلها" (أش١٩: ١) . وعبارة سحابة ترمز إلى ارتفاعها . وترمز إلى الرب الذي يجئ على السحاب (مت١٦: ٢٧) .

❋ ❋ ❋

ب – ألقابها ورموزها من حيث أمومتها للسيد المسيح :

٧ – ومن الألقاب التي وصفت بها العذراء (ثيئوطوكوس).

أي "والدة الله". وهذا اللقب الذي أطلقه عليها المجمع المسكوني المقدس المنعقد في أفسس سنة ٤٣١م، وهو اللقب الذي تمسك به القديس كيرلس الكبير رداً على نسطور ...

وبهذا اللقب "أم ربي" خاطبتها القديسة أليصابات (لو١: ٤٣) .

٨ – ومن ألقابها أيضاً المجمرة الذهب .

وتسميها (تي شوري) أي المجمرة بالقبطية. وأحياناً شورية هرون ... أما الجمر الذي في داخلها، ففيه الفحم يرمز إلى ناسوت المسيح، والنار ترمز إلى لاهوته، كما قيل في الكتاب "إلهنا نار آكلة" (عب١٢: ٢٩) .

فالمجمرة ترمز إلى بطن العذراء الذي فيه كان اللاهوت متحداً بالناسوت، وكون المجمرة من ذهب، فهذا يدل على عظمة العذراء وتفاوتها . ونظراً لطهارة العذراء وقدسيتها، فإن الكنيسة تسميها في ألحانها المجمرة الذهب ϯϢⲞⲨⲢⲎ ⲚⲚⲞⲨⲂ .

٩ - وتلقب العذراء أيضاً بالسماء الثانية :

لأنه كما أن السماء هي مسكن الله، هكذا كانت العذراء مريم أثناء الحمل المقدس مسكناً لله.

١٠ - وتلقب العذراء كذلك بمدينة الله :

وتتحقق فيها النبوءة التي في المزمور "أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله" (مز ٨٦)، أو يقال عنها "مدينة الملك العظيم" أو تتحقق فيها نبوءات معينة قد قيلت عن أورشليم .. أو صهيون كما قيل أيضاً في المزمور "صهيون الأم تقول إن إنساناً وإنساناً صار فيها، وهو العلي الذي أسسها.." (مز ٨٧) .

١١ - وبهذه الصفة لقبت بالكرمة التي وجد فيها عنقود الحياة .

أي السيد المسيح . وبهذا اللقب تتشفع بها الكنيسة في صلاة الساعة الثالثة، وتقول لها "يا والدة الإله ، أنت هي الكرمة الحقانية الحاملة عنقود الحياة" ...

١٢ - وبصفة هذه الأمومة لها ألقاب أخرى منها :

*أم النور الحقيقي ، على اعتبار أن السيد المسيح قيل عنه إنه "النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان" (يو ١: ٩).

وبنفس الوضع لقبت بالمنارة الذهبية لأنها تحمل النور . وأيضاً:

*أم القدوس، على اعتبار أن الملاك حينما بشرها بميلاد المسيح

قال لها".. لذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله (لو ١: ٣٥).

*أو المخلص، لأن السيد المسيح هو مخلص العالم. وقد دعي إسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم (مت ١: ٢١) .

١٣ - ومن رموزها أيضاً العليقة التي رآها موسى النبي :

(خر ٣: ٢) . ونقول في المديحة "العليقة التي رآها موسى النبي في البرية، مثال أم النور طوباها حملت جمر اللاهوتية، تسعة أشهر في أحشاها ولم تمسسها بأذية . فالسيد الرب قيل عنه إنه نار آكلة" (عب ١٢: ٢٩) ترمز إليه النار التي تشتعل داخل العليقة، والعليقة ترمز للقديسة العذراء .

١٤ - ومن رموزها أيضاً تابوت العهد .

وكان هذا التابوت من خشب السنط الذي لا يسوس ، مغشى بالذهب من الداخل والخارج (خر ٢٥: ١٠، ٢٢)، رمزاً لنقاوة العذراء وعظمتها. وكانت رمزاً أيضاً لما يحمله التابوت في داخله من أشياء ترمز إلى السيد المسيح .

فقد كان يحفظ فيه قسط من ذهب فيه المن، وعصا هرون التي أفرخت" (عب ٩: ٤) . ولوحا الشريعة (رمزاً لكلمة الله المتجسد) .

١٥ - وهكذا تشبه العذراء أيضاً بقسط المن .

لأن المن كان رمزاً للسيد المسيح، باعتباره الخبز الحي الذي

نزل من السماء، كل من يأكله يحيا به، أو هو أيضاً خبز الحياة (يو ٦: ٣٢، ٤٨، ٤٩). وما دام السيد المسيح يشبه بالمن، فيمكن إذن تشبيه العذراء بقسط المن، الذي حمل هذا الخبز السماوي داخله.

١٦ – وتشبه العذراء أيضاً بعصا هرون التي أفرخت.

أي أزهرت وحملت براعم الحياة بمعجزة (عد ١٧: ٦ – ٨). مع أن العصا أصلاً لا حياة فيها يمكن أن تفرخ زهراً وثمراً. وذلك يرمز لبتولية العذراء التي ما كان ممكناً أن تفرخ أي تنتج نسلاً. إنما ولدت بمعجزة. ورد هذا الوصف في ابصالية الأحد.

١٧ – خيمة الإجتماع (قبة موسى).

خيمة الإجتماع، كان يحل فيها الرب، والعذراء حل فيها الرب. وفي الأمرين أظهر الله محبته لشعبه. وهكذا نقول في الإبصلمودية "القبة التي صنعها موسى على جبل سيناء، شبهوك بها يا مريم العذراء.. التي الله داخلها".

١٨ – وتشبه العذراء بالباب الذي في المشرق.

ذلك الذي رآه حزقيال النبي وقال عنه الرب "هذا الباب يكون مغلقاً، لا يفتح ولا يدخل منه إنسان. لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً" (حز ٤٤: ١، ٢). وهذا الباب الذي في الشرق، رأى عنده النبي مجد الرب، وقد ملأ البيت (حز ٤٣: ٢، ٤، ٥).

وهذا يرمز إلى بتولية العذراء، التي كانت من بلاد المشرق. وكيف أن هذه البتولية ظلت مختومة .

١٩ – ولأنها هذا الباب الذي في المشرق، وصفت بأنها :

باب الحياة – باب الخلاص :

السيدة العذراء قيل عنها في سفر حزقيال إنها الباب الذي دخل منه رب المجد وخرج (حز ٤٤: ٢) .

فإذا كان الرب هو الحياة، تكون هي باب الحياة. وقد قال الرب أنا هو القيامة والحياة (يو ١١: ٢٥) . لذلك تكون العذراء هي باب الحياة، الباب الذي خرج منه الرب مانحاً حياة لكل المؤمنين به ...

وإذا كان الرب هو الخلاص ، إذ جاء خلاصاً للعالم، يخلص ما قد هلك (لو ١٩: ١٠) ، حينئذ تكون العذراء هي باب الخلاص .

وليس غريباً أن تلقب العذراء بالباب ، فالكنيسة أيضاً تلقب بالباب، وقال أبونا يعقوب عن بيت إيل "ما أرهب هذا المكان . ما هذا إلا بيت الله، وهذا باب السماء" (تك ٢٨: ١٧) .

٢٠ – شبهت أيضاً بقدس الأقداس .

هذا الذي كان يدخله رئيس الكهنة مرة واحدة كل سنة، ليصنع تكفيراً عن الشعب كله. ومريم العذراء حل في داخلها رب المجد مرة واحدة لأجل فداء العالم كله .

فضـــائل العـــذراء

حيــاة الاتضــاع

كان الاتضاع شرطاً أساسياً لمن يولد منها رب المجد .

كان لابد أن يولد من إنسانة متضعة، تستطيع أن تحتمل مجد التجسد الإلهي منها ... مجد حلول الروح القدس فيها، ومجد ميلاد الرب منها، ومجد جميع الأجيال التي تطوبها وإتضاع اليصابات أمامها قائلة لها "من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليَّ.." (لو ١: ٤٨، ٤٣). كما تحتمل كل ظهورات الملائكة ، وسجود المجوس أمام إبنها. والمعجزات الكثيرة التي حدثت من ابنها في أرض مصر، بل نور هذا الابن في حضنها .

لذلك كان "ملء الزمان" (غل ٤: ٤) ينتظر هذه الإنسانة التي يولد ابن الله منها .

وقد ظهر الاتضاع في حياتها كما سنرى :

*بشرها الملاك بأنها ستصير أماً للرب، ولكنها قالت "هوذا أنا أمة الرب" (لو ١: ٣٨) أي عبدته وجاريته. والمجد العظيم الذي أعطى لها لم ينقص إطلاقاً من تواضعها .

بل أنه من أجل هذا التواضع، منحها الله هذا المجد، إذ نظر

إلى إتضاع أمته فصنع بها عجائب (لو ١: ٤٨، ٤٩) .

★وظهر إتضاع العذراء أيضاً في ذهابها إلى إليصابات لكيما تخدمها في فترة حبلها. فما أن سمعت أنها حبلى - وهي في الشهر السادس - حتى سافرت إليها في رحلة شاقة عبر الجبال. وبقيت عندها ثلاثة أشهر، حتى تمت أيامها لتلد (لو ٣٩:١ - ٥٦). فعلت ذلك وهي حبلى برب المجد .

★ومن اتضاعها عدم حديثها عن أمجاد التجسد الإلهي .

حياة التسليم

★ عاشت قديسة طاهرة في الهيكل.. ثم جاء وقت قيل لها فيه أن تخرج من الهيكل، فلم تحتج ولم تعترض، مثلما تفعل كثير من النساء اللاتي يمنعهن القانون الكنسي من دخول الكنيسة في أوقات معينة. فيتذمرن، ويجادلن كثيراً في احتجاج..!

★وكانت تريد أن تعيش بلا زواج فأمروها أن تعيش في كنف رجل حسبما تقتضي التقاليد في أيامها ..

★فلم تحتج وقبلت المعيشة في كنف رجل، مثلما قبلت الخروج من الهيكل ...

★كانت تحيا حياة التسليم، لا تعترض : ولا تقاوم، ولا تحتج .

بل تسلم لمشيئة الله في هدوء، بدون جدال .

*كانت قد صممت على حياة البتولية، ولم تفكر إطلاقاً في يوم من الأيام أن تصير أماً. ولما أراد الله أن تكون أماً، بحلول الروح القدس عليها (لو ١: ٣٥) لم تجادل، بل أجابت بعبارتها الخالدة "هوذا أنا أمة الرب. ليكن لي كقولك".. لذلك وهبها الله الأمومة ، واستبقى لها البتولية أيضاً، وصارت أماً ، الأمر الذي لم تفكر فيه إطلاقاً.. بالتسليم، صارت أماً للرب.. بل أعظم الأمهات قدراً .

*وأمرت أن تهرب إلى مصر ، فهربت .

وأمرت أن ترجع من مصر ، فرجعت. وأمرت أن تنقل موطنها من بيت لحم وتسكن الناصرة، فانتقلت وسكنت .

كانت إنسانة هادئة، تحيا حياة التسليم، بلا جدال. لذلك فإن القدير صنع بها عجائب ... إذ نظر إلى إتضاع أمته .

حياة الاحتمال

تيتمت من والديها الاثنين، وهي في الثامنة من عمرها، وتحملت حياة اليتم، وعاشت في الهيكل وهي طفلة، واحتملت حياة الوحدة فيها، وخرجت من الهيكل لتحيا في كنف نجار واحتملت حياة الفقر. ولما ولدت ابنها الوحيد، لم يكن لها موضع في البيت، فأضجعته في

مزود (لو ٢: ٧) . واحتملت ذلك أيضاً .. واحتملت المسئولية وهى صغيرة السن. واحتملت المجد العظيم الذي أحاط بهاء دون أن تتعبها أفكار العظمة .

لم يكن ممكناً أن تصرح بأنها ولدت وهى عذراء، فصمتت واحتملت ذلك.

احتملت السفر الشاق إلى مصر ذهاباً وإياباً. واحتملت طردهم لها هناك من مدينة إلى أخرى، بسبب سقوط الأصنام أمام المسيح (أش١٩ : ١) . احتملت الغربة والفقر . احتملت أن "يجوز في نفسها سيف" (لو ٢: ٣٥) بسبب ما لاقاه ابنها من اضطهادات وإهانات، وأخيراً آلام وعار الصلب ...

لم تكتف العذراء - سلبياً بالاحتمال - بل عاشت في الفرح بالرب .

كما قالت في تسبحتها "تبتهج روحي بالله مخلصي" (لو ١: ٤٧).

الإيمان وعدم التذمر

في كل ما احتملته، لم تتذمر إطلاقاً. ولا في تهديد ابنها بالقتل من هيرودس، ولا في الهروب إلى مصر، ولا في ما لاقاه من اضطهاد اليهود . لم تقل وأين البشارة بأنه يجلس على كرسي داود أبيه،

يمنك.. ولا يكون لملكه نهاية" (لو ١: ٣٢، ٣٣) بل صبرت . وكما قالت عنها أليصابات "آمنت بأن يتم ما قيل لها من قبل الرب" (لو ١: ٤٥) .

آمنت بأنها ستلد وهي عذراء . وتحقق لها ذلك .

وآمنت بأن "القدوس المولود منها هو ابن الله" (لو ١: ٣٥) على الرغم من ميلاده في مزود. وتحقق لها ما آمنت به، عن طريق ما رأته من رؤى ومن ملائكة، ومن معجزات تمت على يديه. آمنت بكل هذا على الرغم من كل ما تعرض له من اضطهادات ...

آمنت به وهو مصلوب، فرأته بعد أن قام من الأموات (مت ٢٨)

الصمت والصلاة والتأمل

كان من تدبير الله، أن تتيتم العذراء، وأن تعيش في الهيكل .

وفي الهيكل تعلمت حياة الوحدة والصمت، وأن تنشغل بالصلاة والتأمل. وإذ فقدت محبة وحنان والديها، انشغلت بمحبة الله وحده

وهكذا عكفت على الصلاة والتسبحة وقراءة الكتاب المقدس، وحفظ الكثير من آياته، وحفظ المزامير. ولعل تسبحتها في بيت أليصابات دليل واضح على ذلك. فغالبية كلماتها مأخوذة من المزامير وآيات الكتاب .

وسر الصمت ممن مميزات روحياتها . فعلى الرغم من أنها في أحداث الميلاد : رأت أشياء عجيبة ربما تفوق احتمال سنها كفتاة صغيرة، وما أحاط بها من معجزات، ومن أقوال الملائكة والرعاة والمجوس .. فلم تتحدث مفتخرة بأمجاد الميلاد، بل "كانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به في قلبها" (لو٢: ١٩) .

إن العذراء الصامتة المتأملة ، درس لنا :

فليتنا مثلها : نتأمل كثيراً ، ونتحدث قليلاً .

على أني أرى، أنه لما حان الوقت أن تتكلم، صارت مصدراً للتقليد الكنسي، في بعض الأخبار التي عرفها منها الرسل وكاتبو الأناجيل: عن المعجزات والأخبار أثناء الهروب في مصر، وعن حديث المسيح وسط المعلمين في الهيكل وهو صغير (لو٢: ٤٦، ٤٧) .

فضائل أخرى

لقد اختار الرب هذه الفتاة الفقيرة اليتيمة لتكون أعظم إمرأة في الوجود. وكانت تملك في فضائلها ما هو أعظم من الغنى .

من فضائلها أيضاً خدمتها الشخصية، وعفتها وبتوليتها، ومعرفتها الروحية، وخدمتها للآخرين . وأمومتها الروحية للآباء الرسل .

ويعوزنا الوقت أن نتحدث عن كل فضائلها ...

تطويبها

ما أكثر التطويبات التي أعطيت للعذراء .

وردت في ألحان الكنيسة، وفي التسبحة، في الثيؤطوكيات والمدائح وفي الذكصولوجيات، في كل يوم من أيام أعيادها، وفي الأبصلمودية الكيهكية، وفي تراتيل الكنيسة ، وفي الأبصلمودية .

وتذكرها الكنيسة في مجمع القديسين، قبل رؤساء الملائكة، وهكذا في كل تشفعاتها. والكنيسة في تطويب السيدة العذراء، إنما تحقق النبوة التي قالتها في تسبحتها :

"هوذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني" (لو ١: ٤٨) .

والكنيسة تقدم لها البخور، وتقدم لها السلام. وما أكثر التسابيح التي تبدأ بعبارة "السلام لمريم" (شيري ني ماريا) أو التسابيح التي تبدأ بعبارة "افرحي يا مريم" . أو التسبحة التي يحرك فيها داود الأوتار العشرة في قيثارته، وفي كل وتر يذكر تطويباً لها .

تذكرها في الأجبية وفي القداس وفي كل كتب الكنيسة :

في السنكسار ، وفي الدفنار ، وفي القطمارس، وفي الأبصلمودية، وفي كتب المردات والألحان .. في صلوات الأجبية، تذكرها في القطعة الثالثة في كل ساعة من ساعات النهار متشفعين

بها. ونذكرها في قانون الإيمان، إذ نقول في مقدمته "نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله ..."

نذكرها في صلاة البركة ، أولها وآخرها .

فنبدأ البركة "بالصلوات والتضرعات والابتهالات التي ترفعها عنا كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة مريم" . وبعد أن نذكر أسماء الملائكة والرسل والأنبياء والشهداء وجميع القديسين ، نختم بها البركة فنقول "وبركة السيدة العذراء أولاً وآخراً" ..

أيقونة العذراء

هناك فرق بين صور للتأمل، وأيقونة للصلاة .

★ففي الأيقونات لابد تظهر مع المسيح باعتبارها والدة الإله .

★وتكون عن يمينه، إذ قيل في المزمور "قامت الملكة عن يمينك أيها الملك" (مز ٤٥: ٩) .

★ولأنها ملكة يكون على رأسها تاج ، وكذلك المسيح .

★وكقديسة يكون حول رأسها هالة من نور ، إذ قال الرب "أنتم نور العالم" (مت٥: ١٤) .

★ولأنها السماء الثانية يوجد حولها نجوم وملائكة وسحاب .

لتشفع فينا أيتها العذراء القديسة ، ليشملنا الرب برحمته.



بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين
تقرأ في هذه النبذة
عن :

*أمنا القديسة العذراء
*عظمة العذراء
*تقدم الكنائس باسمها
* حياة امتلأت بهـا معجزات
*صوم العذراء
*أعيادها
*العذراء في العقيدة
*ألقابها ورموزها
*فضائل العذراء
*تطويبها – إكرامها

البابا شنوده الثالث

